

ولم يتوقف نصار عند حد الرد على الاقلام المعادية، من عربية مأجورة او مضللة او يهودية، فلقد ساءه دفاع الصدر الاعظم عن تعاطف حكومته مع الحركة الصهيونية والاستخفاف بمطامحها، فرد على دفاع الصدر بسلسلة مقالات تحدث فيها عن ماهية الصهيونية ونشأتها وبرنامج عملها ومراميها البعيدة. وفي السابع من شهر حزيران (يونيو) ١٩١١، نشر نجيب نصار، في صحيفته، رسالة مفتوحة موجهة الى جميع رؤساء تحرير الصحف العربية الذين يشاركونه رأيه ومشاعره، مقترحا فيها توحيد جهودهم في جبهة واحدة ضد الصهيونيين. وفي غضون بضعة ايام، استجاب لاقتراحه طه المدور صاحب جريدة «الرأي العام» البيروتية، الذي اقترح ان تتخذ جميع الصحف العربية موقفا موحدًا معارضا لاستيطان الصهيونيين، وذلك في محاولة لحمل الحكومة على اتخاذ اجراء ما ضد الصهيونية. وهكذا نجد، لدى مراجعة الصحف العربية الصادرة في النصف الثاني من العام ١٩١١، مقالات كثيرة ضد الصهيونية.

وخلال العام ذاته، نشر نجيب نصار كتابا اسماه «الصهيونية: تاريخها، غرضها، اهميتها»، اوضح فيه ان الحركة الصهيونية تعتمد على قاعدة عنصرية، اما اهدافها فوطنية وسياسية على السواء. وركز على مؤسساتها المستقلة وجمعياتها شبه العسكرية وعلمها وشعارها. وبعد ان ذكر ان الصهيونية تهدف الى التوصل الى «السيطرة على بلادنا ومصادر حياتنا»، اشار الى ان «المطلوب هو قيادة صلبة ومخططات جريئة، فنحن العرب بحاجة الى الاعتماد على النفس والكف عن انتظار كل شيء من الحكومة»^(٣٨).

لقد كانت الصورة لما تخطط له الحركة الصهيونية واضحة تمام الوضوح لنصار. وكانت مجمل كتاباته تتمحور حول كشف الغطاء عن هذه الصورة امام اعين الرأي العام ليصار الى احباط المخططات الصهيونية. وبدا واضحا تأثير «الكرمل» في اثاره الجمهور ضد النشاط الصهيوني لدرجة بات معها الصهيونيون يعززون سبب كل تحرك عربي ضدهم لنصار. فصحيفة «جويش كرونكل» اتهمته باثارة الجماهير في حيفا، اثر تحدثه في مؤتمر شعبي وقيام احد الشبان بمحاولة انزاله عن منصة الخطابة واتهامه له «ببذر الشقاق بين فئات الشعب». وكان ان اعتقل البوليس هذا الشاب ثم افرج عنه بتدخل القنصل البريطاني^(٣٩).

واتخذت حرب «الكرمل» ضد الخطر الصهيوني اشكالا متعددة وعلى جبهات عديدة، فطالت الصهيونية ذاتها، والساسة والمسامرة الذين يبيعون الارض، والصحافة المأجورة، و«الاتحاديين» الحاكمين المتعاطفين مع الصهيونية. ووجه نصار النقد الى السلطات التركية المحلية لتسهيلها الحصول على الارض لليهود، فكتب مقالا بعنوان «كلنا يباعون» اثار قائمقام عكا وحمله على اقامة دعوى ضد كاتبه. ونتيجة لحملات نصار ضد الصهيونية وتبني صحف فلسطينية ودمشقية وبيروتية خطه الناصلي انشأ الصهيونيون مكتبا خاصا لمتابعة الصحافة المناوئة للصهيونية وتهئية الردود عليها عبر الصحف المأجورة مقابل رشاوى. واوكل الى نسيم ملول، مراسل «المقطم» فيما بعد، ادارة هذا المكتب^(٤٠). وهذا يظهر بوضوح حجم صدى «الكرمل» والمخاوف التي احدثتها في الطرف الصهيوني المعادي. واخذت الصحف التي يمولها مكتب ملول، كجريدة «النصر» البيروتية، تتولى الدفاع عن الصهيونيين، الا ان صاحب «الكرمل» استمر في خطه غير آبه للعواقب رغم معرفته الاكيدة بتعاطف السلطة مع الحركة الصهيونية، سواء من «الاتحاديين» او من «الائتلافيين» الذين تسلموا السلطة بعد ذلك.

فبعد فوز «الائتلافيين» العام ١٩١٢، ووصول «مهدي به» المتصرف الجديد الى القدس،